إنْ كنتَ من ذاكَ السَّنا في مرية ... فاقْرَأْ بَشَائرَهُمْ أتتْ تَصْديقَا

طَلَعَتْ عَلَيهِمْ مِنْ أسرَّة مُصْلح ... وافـى يـذُمّ إليـهـمُ التفريقَا

لـم يـألُ مَنْطقُهُ وحُسْنُ بَيَانِه ... لقلوبِهِمْ – رَغْمَ القِلى – ترقيقًا(١)

أفْضَى إلى إحنِ القُلُوبِ فسلَّها ... منها وَوَفَّـقَ بينها توفيقًا(٢)

إيه (محمدُ) لا عَدِمْتَ كَفَاءَةً ... قدْ طوّقَتكَ بفخرِها تَطْويقَا

مُرْ (ناديَ الإصلاح) فليفخَرْ بما ... نطّقتَه مـنْ سـؤدَد تنطيقًا(٣)

مَثّلتَـه للمسـلمينَ أبـاً لهمْ ... بـرّاً بـوُلْـد المسلمينَ شفيقَا

الـلـهُ يـشـكرُ والمـلائـكُ بعده ... والناسُ أجمعُ سعيَكَ المرْمُوقَا

يكفيكَ أنـكَ بـالـذي حققْتَه ... ذَكّرْتَنَا (الصّديقَ) و(الفاروقَا)

***

لـلـه دَرُّ عـصَـابـة مـن يـعْـرُبِ ... نزعُوا إلى شيمِ الجدودِ عروقَا!

تاهتْ على الأقطارِ (جيبوتي) بهم ... فخراً وكـانـتْ بـالفخارِ خليقَا

فـزعُوا إلى ظلِّ التآخي بَعدَما ... صُلُوا برمضاءِ الشقاقِ حَريقًا

وتـأكـدوا كـيدَ العدوِ فأبرمُوا ... عَـهْـداً بتسويةِ الخلافِ وَثيقَا

مالتْ بأعطَافي بَشَائرُ صُلْحِهِمْ ... فَـكـأنّـما لعبتْ بـهـا موسيقَا!

(١) القِلى: قلى فلاناً قِلىً: أبغضه وهجره، وفي التنزيل العزيز ﴿ما ودعك ربك وما قلى﴾.

(٢) الإحن: الأحقاد.

(٣) نادي الإصلاح: من نوادي عدن الثقافية سيأتي التعريف به.

وذكّرتُ إخواني (بأندونيسيا) ... فَوَقَعْتُ في بحرِ الهُمومِ غَريقًا!!(١)

هُمْ خرّبوا بيدِ الشّقاقِ بُيُوتَهمْ ... وَجَروا أُمُومَةَ (حضرموتَ) عُقُوقَا

***

(١) يقصد الشاعر بهذا البيت حركة الإصلاح الإسلامي التي انبعثت بين الحضارم في مهجرهم الكبير إندونيسيا، واختلفوا فيما بينهم على بعض مبادئها، فاستغلت جمعيات التنصير والدول الاستعمارية هذا الخلاف، وغذته ببعض المندسين فيه، وأثارت به العصبيات الطبقية التي اصطحبها الحضارم معهم إلى مهجرهم بهدف شغلهم بأنفسهم، وإضعاف شوكة الإسلام الذي نشروه، وأعلوا مناراته في تلك الجزر النائية. وبالفعل تحولت حركة الإصلاح الإسلامي إلى فتنة كبرى انقسم على إثرها الحضارم إلى حزبين متنافرين تسمى الأول باسم «جمعية الإصلاح والإرشاد» تأسس سنة ١٩١٤م، والثاني باسم «الرابطة العلوية» وتأسس سنة ١٩٢٧م، وإن كانت جذوره تعود إلى ما قبل اندلاع الفتنة متمثلة في «جمعية خير» التي أسسها العلويون الحضارم سنة ١٩٠٣م، وأسهمت في نشر التعليم الديني واللغة العربية. ويقصد بالعلويين في حضرموت طبقة «السادة» الذين ينتهي نسبهم إلى علي بن أبي طالب والسيدة فاطمة الزهراء بنت الرسول ﷺ. أما الإرشاديون فهم من أبناء المشايخ والقبائل وفئات الشعب الحضرمي التي تليهم، ويتبع أهل حضرموت بمن فيهم من علويين وإرشاديين مذهب الإمام الشافعي خاصة ما هو متفق عليه منه، وليس بينهم أي فوارق مذهبية، وقد تعرض باكثير إلى أمر هذه الفتنة وأسبابها في مقدمة مسرحية «همام أو في بلاد الأحقاف» حيث نسب للعلويين، دون غيره من المؤرخين، ريادة حركة الإصلاح فقال: «وفي غضون تلك الفترة ظهر في الحضارم بالمهجر جماعة مستنيرون اتصلوا بالصحف العربية في مصر وسوريا، وفي مقدمتها مجلة المنار للمصلح العلامة السيد محمد رشيد رضا، وآنسوا ما تضطرب به بلاد الشرق من التحفز للنهوض والحرية، فشعروا بواجب التفكير في إصلاح أمتهم ووطنهم، فبدؤوا بتأسيس الجمعيات والمدارس وإنشاء الصحف بالمهجر، وكان غالب هؤلاء من العلويين وأخذوا يشنعون على الجمود والتقاليد البالية والعادات السيئة بالوطن وبدع القبور والخرافات، ونظام الطبقات الجاري هناك».

يا قوم مـاذا جئتمُ مِنْ سـوءَة | قدْ أوقرتكمْ م الملام وُسُوقَا(١)
أَوَمَا رَعَيْتم حقَّ مسْجدِ رَبِّكُم | فأقَمْتُمُ فيه المآثمَ سُوقَا؟!(٢)
أ أبحتمُ شهرَ الصِّيَام فشرْتُمُ | فيـه فَريقـاً يقْتُلُونَ فَريقـاً
فَلَتُسْأَلُنَّ لَـدَى القيامَة عن دَمٍ | في قلب مسجد (بَنْدَواس) هُرِيقَا(٣)
مَنْ أطْفَأ المصباحَ! مَنْ شَهَرَ المُدَى؟ | مَنْ روَّعَ المتعبدينَ طُرُوقَا؟(٤)

***

يـا حبَّـذا تلك الجـزائـرُ! إنّهـا | جَنّـاتُ عَـدْنٍ نُسِّقَتْ تنسيقَا
لَمْ يُنْشِئ البـاري بدائع وشْيها | إلاّ إلـى جـنّـاتـه تشويقـا
أثْـرَى بهـا قَوْمي وشـادُوا دولةً | للذين طاوَلَت السَّماءَ سُمُوقَا(٥)

(١) أوقرتكم: حملتكم حملاً ثقيلاً. وسوقا: الوسوق جمع وسق ويعادل ستين صاعاً، والمعنى أن ما جاءوا به من سيئ العمل قد أثقل كواهلهم بأحمال ثقيلة من الملام والآلام. و(م الملام) أصله من الملام.
(٢) سوقاً: أي جعلتم المساجد التي هي للإصلاح سوقاً للمآثم، حيث صارت مكاناً للجدال، فنتج عنه الخلاف الذي أضر بالأمة.
(٣) يشير إلى حادثة مؤلمة وقعت في مسجد النور بمدينة (بندواس) أو (بندوسو) بإندونيسيا إذ اشتبك في صلاة التراويح في شهر رمضان بالمسجد جماعات من العلويين والإرشاديين في معركة سالت فيها الدماء (راجع صلاح البكري، تاريخ حضرموت السياسي، ٢/٣٣٦، ط٢، ١٩٥٦، القاهرة).
(٤) المُدى: مفردها مُدْية، وهي الشَّفْرة الكبيرة.
(٥) يعدّ المؤرخون هجرة الحضارم إلى الشرق الأقصى واستيطانهم جزره الخضراء وتحويلهم أهلها إلى شعوب إسلامية من أعظم فتوح الإسلام السلمية. ويُعتقد أن بداية هجرة الحضارم إلى جزر الهند الشرقية بدأت في أواخر القرن الثامن الميلادي، وكانوا قبل البرتغاليين الذين سبقوا الهولنديين إلى تلك الجزر، وكان أكثر سكان=

نشرُوا بها (القُرآن) فازْدَادَت به | مَـرأى على المرأى الأنيقِ أنيقَا
لَمْ يُلْهِهِمْ همُّ ابتغاءِ الرّزق أنْ | يقضوا لدينهم القَويم حُقُوقَا
تَرَكوا لهمْ بين الأهَالي حُرْمَةً | كـادُوا بهـا أن يَعْبُدُوا المخلُوقَا
وَجَـرَوْا بمضمار التجارة سُبَّقاً | لَمْ تستطعْ بهمُ الشُّعوبُ لُحوقَا
حتَّى أتى عصرُ العلوم فأحجموا | إذْ شَمّرتْ تلكَ الشعوبُ السُّوقَا(١)
فإذا بهَا عَرَفَتْ مصَايِدَ ريحهَا | وَإذَا بقومي يُنْكرونَ السُّوقَا(٢)

=تلك البلاد يدينون بالبوذية، وعلى الرغم من أن الحضارم لم يذهبوا إلى تلك البلاد بقصد الدعوة والفتح بل بقصد طلب الرزق والتجارة، فإنهم بما أوتوا من فطرة سليمة وذكاء وإخلاص وهمة عالية وأمانة في المعاملة وصدق في القول استطاعوا أن يستميلوا قلوب أهل تلك البلاد النائية، وأن يندمجوا في طبقات السكان الذين يخالفونهم جنساً ولغة وديناً وأخلاقاً، فتركوا فيهم أثراً لم تتركه الجيوش الجرارة في البلاد المفتوحة.
وبهذه الأخلاق ملك الحضارم زمام الاقتصاد في تلك الجزر وملكوا معها أفئدة أهلها الذين دخلوا في دين الله أفواجاً حتى أصبح اليوم بعض حكام تلك الجزر من أحفادهم، وسيطروا على المواصلات البحرية من القرن العاشر إلى الخامس عشر، وكانت مراكبهم التي زادت على المئة تجوب البحار من جزائر جاوة إلى الهند إلى بحر العرب يقودونها بأنفسهم ذهاباً وإياباً.
(١) في سنة ١٨٥٥م بدأ مركز الحضارم يتضاءل في سيادة المواصلات البحرية بسبب منافسة المراكب البخارية لمراكبهم الشراعية، ومع ذلك تراجع مركزهم الاقتصادي بسبب اعتمادهم على ذكائهم الفطري، وعدم أخذهم بأسباب العلم الحديث، وقد ظل هذا الخاطر يؤرق الشاعر ويلح عليه في الكثير من كتاباته عن أسباب تخلف الحضارم في مضمار التجارة في العصر الحديث (راجع: مسرحية همام أو في بلاد الأحقاف).
(٢) أي أن قومي ما لم يستطيعوا مواكبة التطورات التي حدثت في سوق المال أنكروها، واكتفوا على أساليبهم التقليدية في التجارة.

عكفُوا على (الباتيق) لو يفى لهم! — لكنَّ قومي ضيَّعوا (الباتيقا)!(١)

***

أما الخلافُ فسنةُ النَّهضَات إذْ — تبدُو وإذْ يغزو الجديدُ عتيقَا
لكنّ قومي – والحقائقُ مُرّةٌ – — فسقُوا عن النهجِ الحكيم فسُوقَا
سبّوا رفاتَ الميتينَ، وأنكروا — نسباً صَريحاً بالثبوتِ حقيقَا(٢)
وتراشقُوا فُحْشَ الكلام فأرّقوا — عَينَ الحياءِ بهُجرهِمْ تأريقَا
تَرَكُوا الشُّعُوبَ ولهوَهَا بعلومِهَا — وعُنُوا بلفظةِ (سيِّد) تحقيقَا!!(٣)

(١) الباتيق: نوع من المنسوجات الشهيرة التي تصنع في إندونيسيا ويصدّر إلى الخارج وتصنع منه أنواع عدة جميلة من الملبوسات منها «الفوطة» اللباس الشعبي إلى اليوم في إندونيسيا وجنوب الجزيرة العربية والحجاز (سابقاً)، وكان التجار الحضارم ملوك تلك الصناعة التي يقومون بتصديرها إلى تلك البلدان، لكن تنافسهم فيها الصينيون، وتغلبوا عليهم فيها بسبب ما أحدثوه بها من تطور،وهو المعنى الذي يقصده الشاعر بسخريةمريرة حزينة تنطق بها كل كلمةفي هذا البيت.

(٢) يُدين الشاعر في هذا البيت بعض المتطرفين من غلاة الإرشاديين الذين طعنوا في بعض علماء العلويين من أهل التقوى والصلاح بل أنكروا انتسابهم إلى سلالة البيت النبوي الشريف، وقد كرر الشاعر هذه الإدانة في مقدمة مسرحية «همام أو في بلاد الأحقاف» حين قال: «ولولا غلو الغلاة من أهلها وتطرفهم وخروجهم عن حدود الدعوة إلى التعرض للأنساب وملء الصحف بالشتائم والسباب مما جعل كثيراً من رجال الأدب والعلم المتنورين يتحرجون من الانتساب إليهم بالرغم من موافقتهم لهم في المبادئ نفسها لكان لهم في المهجر والوطن شأن غير شأنهم اليوم».

(٣) يشير في هذا البيت إلى أحد أسباب الخلاف الذي نشأ بين العلويين والإرشاديين حول استعمال لقب «السيد»، حيث أصر العلويون على أن يقتصر عليهم وحدهم استخدام لقب «السيد» حسبما جرت عليه العادة لعدة قرون في حضرموت، على الرغم من استخدام أسلافهم لهذا اللقب إلى جانب «السيد»، وقد ثار الإرشاديون على هذا =

يتنازعُونَ سيَادَةً موهومةً — أَترى السيادةَ أصْبَحتْ إبريقَا؟؟
أهْونْ بها لَقَباً سَرَى في النّاسِ لم — يستثنِ سكّيراً ولا زِنْديقَا(١)
شَرَفُ النبوةِ لا يَزولُ بأحرفٍ — تُمحَى.. فما مَلْءُ الفضاءِ نعيقا؟؟
وَعُقُودُ أهلِ البيتِ أغلَى قيمةً — مِنْ أنْ تُسامي لؤلؤاً وعقيقَا
فَهُمُ هُمُ أحرى بأنْ يتقيَّلُوا — في الصَّالحاتِ الصَّادقَ المصدُوقَا(٢)
وأحقُّ أنْ يمشُوا على آدابه — وَيُطَلِّقوا أضْدَادَهَا تطْليقَا

=«الاحتكار» وطالبوا بإباحة استعمال لقب «السيد» لكل شخص سواء أكان من العلويين أم من غيرهم وفقا لما هو معمول به في كل بلاد العالم العربي والإسلامي الأخرى.

(١) يتفق الشاعر في معنى هذا البيت والذي يليه مع آراء كبار القيادات الفكرية الإسلامية التي تدخلت لفض هذا النزاع أمثال السيد محمد رشيد رضا، والأمير شكيب أرسلان الذي كتب مقالاً بعنوان «فتنة الحضارم في الجاوي وضجيج العالم الإسلامي منها» افتتحت به مجلة «الفتح» عددها ٣٤٢ بتاريخ ٢٠/١٠/١٣٥٢هـ الموافق ٤/٢/١٩٣٤م نقتطف منه ما يفيد المعنى الذي قصده الشاعر وإن كانت القصيدة قد سبقت المقال الذي به ما نصه:

«إن السيد بالمعنى اللغوي يصح استعماله لكل إنسان ذي سيادة من آل البيت أو من غيرهم ومن غير المسلمين أيضاً. وإن السيد بالمعنى الاصطلاحي هو المنسوب إلى الذرية الطاهرة أولاد فاطمة. نقول للسادة العلويين: إذا قيل لواحد من غيركم «سيد» فلا ينقص هذا من سيادتكم بمقدار ذرة، لأنها تكون أطلقت عليه تجوزاً أو توسعاً أو بالمعنى اللغوي الذي لا يمكن إنكاره بوجه من الوجوه، إلا إذا بطل لسان العرب، وإذا قيل للواحد منكم «سيد» فيكون هذا لنسبه الرسمي وحسبكم ذلك تمييزاً...».

(٢) يتقيلوا: من تقيل أي اقتدى واتبع، والمعنى: أنهم أحرى بالاقتداء بالصادق المصدوق الرسول صلى الله عليه وسلم.

فَتَسَامحُوا يُرْدَدْ عَليكم حقُّكُمْ ... كَمْ أدركَ الْمُتَسَامحونَ حُقُوقًا!
والطفلُ يأبى الشيءَ يُعْطَاه فإنْ ... يُمْنعهُ جُنَّ به هَوًى وعُلُوقَا

***

تُوبوا إلى هَدْيِ النبيِّ وصحبه ... تجدوهُ سَهْلاً واضحاً مطروقَا
وعقيدةِ السَّلَفِ النقيةِ إنها ... أقْوَى وأقْوَمُ حُجّةً وطريقَا
واقضوا على البِدَعِ المضلّةِ إنها ... بِدَعٌ هوتْ بالمسلمينَ سحيقَا
هيَ ضيّعَتْ أوطانَهم هي مزقتْ ... سلطانَهم وكيانَهمْ تمزيقَا
والدّينُ دينُ الله دينُ (محمد) ... لا يعرفُ التابوتَ والصُّندوقَا(١)
أنا لا أبَالي إذْ نصحتُ بني أبي ... أدُعيتُ ضِدّاً أم دُعيتُ صَديقَا(٢)
إذْ قد عَلمتُ بأنهم من بَعدها ... سيصدِّقونَ مقالتي تصديقَا

***

لو لا جمودُ الحضرميِّ وَجَهْلُهُ ... بَلَغَتْ مواهبُهُ به العيوقَا!!(٣)

***

عدن : ٢٩ ربيع الثاني ١٣٥١هـ
الموافق ٣١ أغسطس ١٩٣٢م

(١) التابوت والصندوق من البدع التي أدخلها اليهود على شريعة موسى، وفي ذكرها إشارة إلى تكرار الشاعر للبدع المماثلة التي أدخلت على شريعة الإسلام.
(٢) كرر الشاعر هذا المعنى في الكثير من مقالاته التي كتبها في الدعوة للصلح بين الفريقين المتنازعين.
(٣) العيوق: نجم أحمر مضيء في طرف المجرة الأيمن يتلو الثريا، وهو من أبعد النجوم، وفي هذا يكمن مقصد الشاعر بأن الحضرمي إذا ما تخلص من الجمود على القديم واتجه إلى طلب العلم الحديث بلغ بمواهبه الفطرية أعلى المراتب.

رسم محمد علي لقمان*

نظمها على رسم صديقه الوفي الأستاذ محمد علي إبراهيم لقمان في نادي الإصلاح العربي الإسلامي في كريتر تصوير الأخ محمد مكي أفندي:

أيّـهـا الـرسـمُ تَـكَـلّـمْ! ... ما الذي يمنعُكَ التَّكلُّمَا؟
ولمـــاذا تَـتَـبَـسَّـمْ؟ ... وَيْكَ! مَنْ عَلّمكَ التبسُّمَا؟
قل لي أمَا تَتْعَبْ ... مِنْ أُلُوفِ البَسَمَاتِ!
تَجِدُّ أمْ تَلْعَبْ؟ ... إذْ تُجِيلُ النَّظَرَاتِ
أشـرَقَ النّـادي بِـنُـورِكْ ... فَغَدَوتَ البدرَ وهو الفَلَكْ!
قُلْ لنا بُورِكتَ يارسم وبورِكْ ... بَشَرٌ لاحَ لَنا أم مَلَكْ؟
أأرَدْتَ أن تَحْكي ... فَخرَنَا (لقمانَ)مَنْ حازَ البَيَانَا؟
فارجعْ إلى (مكّي)! ... قلْ لَهُ هَبْ لي شُعُوراً ولسانَاً!!
أنتَ لا تقدرُ أنْ تَخْطُبْ ... فانزلْ مِنَ المنبرْ
أنتَ لا تملي ولا تكتبْ ... ما المنظرُ المَخبَرْ

* هذه القصيدة مختلفة في أوزان أبياتها، وهي أقرب ما تكون إلى الموشحات الأندلسية، وقد وضعنا القصيدة بالشكل الذي كتبها الشاعر عليه. وهي من إرهاصاته بالتجديد الذي أحدثه بعد ذلك في تاريخ الشعر العربي ونال به ريادة الشعر الحر كما هو معروف بترجمته مسرحية شكسبير (روميو وجلييت) سنة ١٩٣٦م، ثم تأليفه مسرحية (إخناتون ونفرتيتي) سنة ١٩٣٨م، والتزامه فيها بحراً واحداً هو بحر المتدارك.

أنت لا تـدري شُؤونَ العَالَمِينْ أنتَ لا تَعْرِفُ أنواعَ العُلُوم
أنت لا تبكي مُصابَ المسلمينْ ومصابَ العُرْبِ أبناء النُّجُومْ
أيها الرسمُ الجميلْ إنّما أمزحُ لا تغضبْ عليّا
أنتَ لي نعمَ الخليلْ فابتسمْ ثغراً ولا تعبسْ مُحيّا
أنتَ عَـزَاءُ المحبْ أنـت تـذكـارُ (محمدْ)
دُمْ طالعاً لا تغبْ واتّـسم بالبشرِ سَرْمَدْ
علَّ مَولاكَ يؤوبُ فترانا في سُـرورٍ نعتنقْ
فـوداعاً يا حبيبُ وغداً إن شاءَ ربي نتفقْ!

***

عدن ١٤ : جمادى الأولى ١٣٥١هـ
الموافق ١٤ سبتمبر ١٩٣٢م

مصور عدن

إلى الشيخ الفاضل محمد مكي أفندي*! وقد اخذ له مع الأستاذ محمد علي لقمان رسماً ثم أخذ لكل واحد منهما على حدة رسماً آخر:

(مكّيُّ) سُبْحَان الـذّي حـلاّكَ بـالخُـلُـقِ الـكَـرِيمْ!
جَمَعَ القُـلُـوبَ علَى فَؤا دِكَ فالورى بك معجبونْ
وحَـبَـاكَ مـنْ دُرر المـوَا هـبِ بـالنـثيرِ وبالنَّظيمْ
لـلـهِ مـا أحـلَـى رُسُـو مَكَ في القلوبِ وفي العُيُونِ!
فـيـهَـا مَـعَـانٍ تستمدُّ سنَا مُحيّـاكَ الوسيمْ
صَــوّرْتَ فيهـا أصدقًـا كَ كـأنّمـا هُـمْ ينطقُونْ
أودَعـتَـهـا سـرَّ الحَـيَـا ة بريْشة الـذّوْقِ السليمْ
قُـلْ لـي بِـرَبِّـكَ يـا أخـي هَلْ صيغَ جسمُكَ من فُنُونْ؟!

***

عدن: ١٦ جمادى الأولى ١٣٥١هـ
الموافق ١٦ سبتمبر ١٩٣٢م

* محمد مكي أفندي مصور مشهور بعدن آنذاك ربطته بالأستاذ محمد علي لقمان عرى المودة والأخوة، وقد التقط عدة صور بديعة للصديقين الحميمين لقمان وباكثير بخل الزمان أن يحفظ لنا واحدة منها على كثر ما وجدته في منزل باكثير بالقاهرة من صور، ولا يوجد لدى أبناء لقمان منها شيئاً، فخسرنا صورة تجمع بين رجلين ضربا المثل الأعلى في المحبة والصداقة التي يندر لها المثيل في هذا الزمان!

دمعة حضرموت على أمير الشعراء*

سَائلوا الدُّنيا وصيحوا في البَشَرْ ... ما دَهَى الشمسَ؟ وما غَالَ القَمَرْ؟
فإذا لَمْ تَسْمَعُوا غيرَ الصَّدَى ... فاعلمُوا أنْ قدْ طَوَى (شوقي) قَدَرْ
فاسكبوا ما شئتُمْ مِنْ أدْمعٍ ... وأسيلُوا ما أرَدْتُم مِنْ عِبَرْ
وَلْتذُبْ أنفسُكُمْ ثُمَّ لْتَسِلْ ... حَسَرَاتٍ قطراً بعد قطرْ

***

* أحمد شوقي (١٢٨٥ . ١٣٥١ هـ، ١٨٦٨ . ١٩٣٢م) الملقب بأمير الشعراء، أشهر شعراء العرب في عصره، أعجب به باكثير وحفظ شعره منذ كان في حضرموت، وعندما وصل إلى الحجاز اطّلع على مسرحياته الشعرية لأول مرة فأعجب بها، وحاول تقليدها في باكورة مسرحياته « همام في بلاد الأحقاف » التي كتبها في الطائف، وبها كانت بداية صلته بالكتابة المسرحية. وقد وصف باكثير وفاة شوقي في رسالة بعث بها من عدن إلى أخيه عمر بحضرموت بتاريخ ٢٧ / ٤ /١٣٥١هـ الموافق ٢٨ / ١٠ /١٩٣٢م، يقول فيها بتأثر بليغ: « وأعظم لكم الأجر في وفاة فقيد اللغة والشعر والأدب والعرب والإسلام والشرق أمير الشعراء أحمد شوقي استأثر الله به يوم الجمعة ١٤ جمادى الآخرة فجأة من غير مرض ولا علة بل كان قبل وفاته بساعتين في إدارة « جريدة الجهاد » يتحادث مع صاحبها كعادته ثم عاد إلى داره ليلة الجمعة وأوى إلى فراشه فلم يلبث أن انتبه وشعر بضيق نفس أسلمت على إثره روحه إلى بارئها فرحمة الله عليه لم يجف بعد دمع العربية على حافظ إبراهيم حتى تلاه الحادث الجلل بموت شوقي كأنما كانا على ميعاد! وكان أمير الشعراء قد استشعر دنو أجله إذ قال يرثي حافظاً قبل شهر:

قد كنت أوثر أن تقول رثائي ... يا منصف الموتى من الأحياء!

وهكذا انطوى ذلك الرجل الذي كان ملء القلوب وملء الأسماع وملء الأبصارفحواه لحد ضيق. ولم يبق إلا اسمه الخالد بما أبقاه من أثر خالد فلئن مات شوقي فإنما انتقل إلى أول مرحلة من عالم الخلود! ».

هذه العُرْبُ حيارى كُلُّها ... كَبِدٌ تَغْلي ودَمْعٌ يَنْهَمِرْ
يَتَوَلاها التِيَاعٌ دونَه ... لَوعَةُ الثكلى ويأسُ المحتضَرْ
نبأٌ مرّ بها فاضْطَرَبَتْ! ... وببركانِ أساها فانفَجَرْ
كَبُرَتْ ماتَ أميرُ الشّعرِ مَنْ ... يَعِها يُغْشَ عليه ويُدَرْ (١)
شاعرُ العُربِ وحَامي رُكنِها ... وردَ الموتَ إلى غير صَدَرْ (٢)
فقدتْ قائدَها الأكبرَ في ... ساعَةِ الشِّدَّةِ والأمْرُ خَطَرْ
وَرَحَى الحربِ بها دائرةٌ ... تُبصِرُ الأنجُمَ في وَقْتِ الظّهرْ
يا لهولِ الصَّدْمَةِ الكبرى فقدْ ... عَظُمَ الخطْبُ وعَزّ المُصْطَبَرْ

***

فُجعتْ (مصرٌ) بمَعلي شأنِهَا ... ومُحَلّي جيدِها أغلَى الدُّرَرْ
(بمعزّيها) (ببنتاءورها) ... مَنْ يُعَزّيها (بشوقيها) الأغرّ؟(٣)
جزِعتْ لما رأتْ (أحْمَدَها) ... باردَ الأطرافِ مشخوصَ البَصَرْ

(١) يُدر: من الدوار الذي يصيب الإنسان إثر صدمة تؤثر في نفسه.

(٢) إلى غير صدر: إلى غير رجعة.

(٣) بمعزيها: الخليفة الفاطمي المعز لدين الله، ويشير الشاعر بذلك إلى ما قدمه شوقي من شعر في عزة الإسلام ونصره. بنتاءور: شاعر رمسيس الأكبر ويُعد أمير شعراء مصر الفرعونية الذي خلّد به الأدب المصري القديم. أعجب به شوقي في شبابه، وكتب عنه سنة ١٩٠١م كتاباً بعنوان (شيطان بنتاءور)، أعيد طبعه في يناير ١٩٥٢م تحقيق: محمد سعيد العريان، وهو عبارة عن مجموعة محاورات خيالية أدارها شوقي شعراً ونثراً، وباكثير يقصد هنا أن شوقياً هو بنتاءور مصر الإسلامية وأمير شعراء العربية.

سَاكنَ الأعضاءِ من غيرِ كَرَى ... جَامدَ المقْوَلِ منْ غيرِ حَصَرْ (١)
ما عَرَا القلبَ الذي تهفُو بهِ ... كلُّ ذكرى فغدا مثلَ الحَجَرْ
عَجَباً ما ضَاقَتِ الدُّنيا بهِ ... وَسِعَتْه حُفْرَةٌ بينَ حُفَرْ

***

تلْكُمُ (الضاد)! وذي أوطانُها ... فقَدَتْ في سُدفَةِ الليلِ القَمَرْ
فرُبى (مصرَ) استحالتْ مأتماً ... جُمعَ الآسادُ فيهِ والعُفَرْ (٢)
جلّلتْ (أهرامها) كاسفَةً ... مسحةُ الحزنِ وسيماءُ الكَدَرْ
ويدُ (النيلِ) على أحشائه ... ساخطًا يرنو إلى الكونِ الشزرْ (٣)
وَبَكَتْ (طيبةُ) و(البيتُ) فتىً ... كمْ تغنّى بُعلاها وافتخرْ (٤)
وربوعُ (الشام) تبكي شاعراً ... ندبَ الأملاكَ فيها والسُّررْ (٥)
وَبَكى (البسفورُ) مَنْ صَوَّرَهُ ... فوقَ ما أوتِيَ منْ حُسْنِ الصُّوَرْ (٦)
خصّ بالآياتِ (كبرى شمسه) ... ونعاها إذ هَوَتْ في مُنحَدَرْ (٧)

---

(١) الحصَر: العي.
(٢) العفر: مفردها عفراء. لعله أراد بها الظباء التي خالط بياضها حمرة، أي شمل الحزن رجالها ونساءها.
(٣) الشزر: الأصل فيها التسكين ومعناها النظر بطرف العين إلى الشيء باستخفاف.
(٤) طيبة: المدينة المنورة. البيت: البيت العتيق بمكة المكرمة.
(٥) أي أن شوقي هو الشاعر الذي رثى الملوك والعروش.
(٦) البسفور: مضيق البسفور الذي يصل البحر الأسود ببحيرة مرمرة، وتقع مدينة استانبول على طرفي المضيق، وكانت عاصمة الدولة العثمانية فبكاها شوقي عند ما ألغيت الخلافة الإسلامية، ودخلتها جيوش الحلفاء.
(٧) كبرى شمسه إشارة إلى ما نظمه شوقي في الدولة العثمانية الإسلامية، وحزنه على سقوطها إذ ذاك.

و(بنجد) حَسَراتٌ تلتظي ... و(ببغدادَ) شآبيبٌ تدرْ (١)
وعلى (الأحقاف) آياتُ الأسَى ... وبأرضِ (اليَمَنِ) الدَّمْعُ غُدرْ

***

منْ يُعزّي (الشرقَ) في أحزانه ... ويُهنّيه إذا ما الشّرْقُ سُرّ؟
عُطّلتْ قيثارةُ الشرقِ التي ... أشجتِ الدُّنيا مليّاً والبَشَرْ
واسْتَحالتْ قطعاً منْ خشبٍ ... فكأنْ لمْ تُشْجِ قلباً أو تُثِرْ
شَمْسُ شعرِ العُرْبِ غابتْ زمناً ... و(بشوقي) قرّبُها في الكونِ ذرّ (٢)
شاعرُ الكونِ يُطاطي رأسَه ... عنده (دانتي) و(فكتورُ) يخرّ (٣)
حلّ (شاكسْبيرُ) في هيكله ... و(أبو الطيّب) و(الملكُ الأغرّ) (٤)
أُشْرِبتْ مهجتُهُ أرواحَهُمْ ... فالتقتْ فيها بديعاتُ الصُّوَرْ
واستسرّتْ عبقرياتُ النُّهى ... في مطاويها وأعْلاقُ الفِكَرْ (٥)
وجَرَى (القرآنُ) في أعماقِها ... معجزَ الآياتِ وضّاءَ السُّوَرْ!

---

(١) شآبيب: جمع شؤبوب وهو شدة اندفاع المطر، والمقصود به هنا الحزن.
(٢) ذرّ: ظهر، والمقصود الشمس.
(٣) دانتي اليغيري (١٢٦٥ ـ ١٣٢١م) كبير شعراء إيطاليا صاحب ملحمة «الكوميديا الإلهية» الشهيرة. وفيكتور: هو فيكتور هوجو (١٨٠٢ ـ ١٨٨٥م) شاعر وروائي وكاتب مسرحي فرنسي أشهر أعماله رواية البؤساء.
(٤) شكسبير (١٥٦٤ ـ ١٦١٦م) الشاعر المسرحي الإنجليزي الكبير، و(أبو الطيب) المتنبي (٣٠٣ ـ ٣٥٤هـ)، و(الملك الأغر): امرؤ القيس الكندي (١٣٠ ـ ٨٠ ق هـ) صاحب المعلقة.
(٥) أعلاق: النفائس جمع علق.

فصفتْ، ثم هفتْ فانتظمتْ   فرمتْها ماضياتٍ كالقدرْ!!
ضاحكاتٍ كأزاهيرِ الرُّبى   وشذيّاتٍ كأنفاسِ السَّحَرْ!
خالداتٍ يُعجَبُ الدهرُ لها   إذ تحدّاه، وتهزا بالعُصُرْ
أصبحتْ منْ سُنَنِ الكونِ ف   تنمحي أو ينمحي منها الأثرْ

***

لم يقُم من ألفِ عامٍ قد مَضَى   مثلُ (شوقي) في بني العُربِ شَعَرْ
هلْ رأيتمْ قبلَ (شوقي) من يَدٍ   وَصَلَتْ عصرا بعصْرٍ قدْ غَبَرْ
جَذَبتْ حلْقةَ ماضينا إلى   حلقةِ الحاضرِ بعْدَ المُنبترْ
صافحتْ منْ كوّة الغيبِ يدَ (الـ   ـمتنبّي) في غيابات العُصُرْ
فكأنْ لمْ يكُ بين (الأحمديـ   ـن) قرونٌ وصروفٌ وغِيَرْ (١)
كيف شمسٌ ذرّت الكونَ هوَتْ؟   كيف شخصٌ ملأَ الدُّنيا قُبِرْ؟

***

يا بناتِ النيلِ أسعدْنَ أخا   غربةٍ لوَّحهُ طولُ السفَرْ
شرقا بالدمعِ تحنينَ لهُ   مِنْ نميرِ النيلِ كفًّا يُعتصَرْ!
(حضرموتٌ) دارُه حيث التقتْ   باسقاتُ النخلِ فيها والسِّدر (٢)
حيثُ أنفاسُ الصَّبا باردةٌ   والهواءُ الطَّلقُ والماءُ الخَصِرْ (٣)

---

(١) الأحمديْن يقصد بهما شوقي والمتنبي في الاسم الأول.
(٢) النخيل والسدر من أكثر الشجر انتشارا في حضرموت.
(٣) الخصر: بارد.

خطفَ الدّهرُ بها منْ يدِه   زهرةً مُتكئً في العُمْرِ النَّضِرْ (١)
ماثلتكُنّ جمالاً وحُلَى   وتَسامَتْ بحياءٍ وخَفَرْ
فانبرى ينشدُ في (مصرَ) العزا   فإذا (مصرُ) عليه تستعرْ
سَلَبتْ (حافظَها) في غِرّة   ثم (شوقيها) بلمحٍ من بَصَرْ
كم تمنّيتُ بأنْ ألقاهُما   فأرى الوالدَ والعمَّ الأبرّ (٢)
تبّتِ الأيام هلْ آنَ أنْ   ليس يُقضى لـ (علي) من وَطَرْ
غفركَ اللهمَّ! بلْ هل شنأتْ   فَلَقَ العُربِ الجميلَ المُنتظَرْ؟ (٣)
أبصرتْ أنوارَهُ تلمعُ في   مُنحنَى الأفقِ على مَرمَى النظرْ
فسمتْ فانتهبتْ أسطعَ ما   ضمّتِ الهالةُ من شتّى الزَّهرْ
ستظلُّ العُربُ تبكي شجوَها   - كُلّما طالَعتِ الأفْقَ - دُرَرْ (٤)
كيف لا يبكيهما شعبٌ هما   بمكانِ السمعِ منه والبَصَرْ؟

***

أبناتِ النيلِ جدّدْنَ الأسى   لفتى النيلِ وشقّقْنَ الخُمُرْ

---

(١) يقصد زوجه التي خطفها منه الموت في ريعان الشباب في حضرموت قبل وفاة شوقي بشهور، فغادر وطنه إلى عدن ينشد السلوى، فإذا أحزانه تتجدد بوفاة شاعريه الأثيرين حافظ وشوقي.
(٢) يقصد بالوالد شوقي وبالعم الأبر حافظ إبراهيم إذ كانت أمنيته أن يلقاهما عند هبوطه مصر التي كان يتحرق شوقا إليها.
(٣) شنأت: من شنأ أي أبغض. فلق: صبح أو فجر.
(٤) أي إن العرب ستظل تبكيه بأغلى ما عندها كلما تلألأت النجوم في السماء.

هل تبصَّرتن من نُحْتتنَهُ(١) ... إنَّـه أبلـغُ مَـنْ خـطّ السُّطُرْ
وحـيـاةُ المـرءِ ديـنٌ ثـابـتٌ ... ويـقـينٌ وجـهـادٌ مُـسـتمرّ
وعلى الإنـسانِ أنْ يشقى إذا ... شاقَه عطفُ النعيم المسْبكرّ (٢)
قـد وعيناها فـطبْ نفساً بنا ... ستوافيكَ غـداً عنّا البُشَرْ
عـندما يَـرجـعُ ماضينا لَـنَا ... قاهرَ السلطانِ مرموقَ الخَطَرْ
مُحكمُ التنزيلِ دستورٌ لَنَا ... وحجولُ المجد فينا والغُرَرْ (٣)
تَـخضَعُ الدُّنيـا لَـنَا طائعةً ... تشتكي الظُلمَ إلى عدْل (عُمَرْ)
فـانزلِ الـفِرْدوسَ واذكـرْنا إذا ... ماسَنا (الهادي) لعينيْك زَهَرْ
أهْـــده عـنـا تحـيـات كـمـا ... رقّ إحساسُكَ في وقتِ السَّحَرْ
غـنِّـه بـعضَ قـوافـيـكَ على ... حافة (الكَوْثَر) من تبْرٍ ودُرْ (٤)
وادعُ حُـورَ الخلدِ يعزفْنَ ولا ... تَـنْسَ أنّ الخَـمْـرَ حـلٌ والـوَتَـرْ
سَتَرَى (المختـارَ) يَهْتَزُّ لَـهـا ... مستنيراً وجهُهُ مثلَ القَمَرْ (٥)
ثـمّ بـلّـغْـهُ بـأنّـا - آلَـهُ - ... قد بَـدأنا نـخلَعُ النيرَ العسرْ
عـلّـه يـدعُـو لَـنَـا الـلـهَ بمَا ... يُـوصِـلُ الغايةَ أو يُدْني الوَطَرْ

(١) نُحْتتنَهُ: أي بكيتنه وأصلها من ناح ينوح.
(٢) المسبكرّ: من اسبكرّ أي استقام.
(٣) حجول: من تحجيل أي بياض في قوائم الفرس. الغرر: جمع غُرّة وهي بياض في الجبهة.
(٤) الكوثر نهر في الجنة. التبر: فُتات الذهب أو الفضة قبل أن يُصاغا.
(٥) المختار: النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

قلْ لـهُ: يـا أيّـها الـهـادي أقِـلْ ... عَـثْـرَةَ الإسْـلام يـنْـهَـضْ وَيَـثُـرْ

***

إنـه (شـوقـي) أمـيـر الـشـعرا ... عبـقري الـدّهـر مـرآة العُصرْ
أُغـريَ الدّهرُ (بمصر) وَيْحَهَا ... كُـلّ يـوم كـوكـبٌ فيـهـا يخرّ
كـانَ يُرضي النيلَ منكنّ الفدَا ... أتَـريْنَ الدهر للنيل اقتفر؟ (١)
لـو ذَهَـبْـتنّ فـداء دونَ مَـنْ ... رَفَـعَ الـنـيـلَ لمـا كـانَ كـثُـرْ

***

شَاعرَ الإسـلام لا تبعدْ! وهل ... كرحيلِ الموت في البُعد سَفَرْ
لُحـي الـدَّهْـرُ فـقـدْ جرّعَـنَـا ... منْ نواكَ الصاب مُرّاً والصَّبِرْ (٢)
ولـقـدْ أقـصـاكَ عـن أرواحـنـا ... - وهي مثوى لك - لو كان قدرْ
إنّــه أعـجـزُ مـنْ ذاكَ وإن ... شـطّ في الجـورِ عَلَينا وغَـدرْ
قـد حَفَرْنا لـكَ في أكـبادنا ... خـالـدَ القـبرِ إذا القـبرُ انـدثرْ
فلَو أنّ المـوتَ يُرضيه الـفدَا ... لـفَـدَيـنـاكَ بمحـبوب الـعُـمُر
أو لَـوَ أنّ الـقَـدَرَ الجـاري له ... دَافـعٌ قمنا وغالبْنا الـقَـدَرْ!

***

مـنْ وصـايـاكَ إلـيـنـا (إنّمـا الـ ... أمم الأخلاقُ) و(الدّنيا سِيَر)! (٣)

(١) اقتفر: من قفر الأثر أي تتبعه واقتفاه، ويقال اقتفر العظم أي تعرّقه وأتى على لحمه.
(٢) الصاب: شجرة لها عصارة بيضاء كاللبن شديدة المرارة.
(٣) إشارة إلى قصيدة شوقي الشهيرة التي يقول فيها:
وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت ... فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وعلى الحمراءِ بابٌ دَقّهُ بيد سالتْ بمسفوحِ هَدَر(١)
وأساسُ الملكِ بنيانٌ وغَرْ سٌ وتجديدٌ وعقلٌ يُدَبِّرْ
فَعَزاءً (آلَ شوقي) إنّما هكذا الدّنيا سُرُورٌ وكَدَرْ
وَعَزاءً يا سمّيي وأخي كُلُّنا في الخَطْبِ مفقورُ الظّهرْ(٢)
إنّما (شوقي) أبونا كُلُّنا - أمةُ العُرْبِ - بـ(شوقي) نفتخرْ
شاقهُ بالملأ الأعلى السّنا فانبرى ينسابُ منه في نَهَرْ
إنْ يكنْ ولّى فذي آثارُه يهرمُ الدّهرُ بها وهيَ نُضُرْ
أو يمتْ فاللهُ باقٍ وَحْدَه ما لمخلوقٍ منَ الموْتِ مفرّ
سوفَ يَطْوي الأرضَ يوماً والسّما وارثُ الأجيالِ خلاّقُ القَدَرْ
إنّ هذا لهوَ الحقّ فمنْ شاءَ فليؤمنْ ومَنْ شاءَ كَفَرْ(٣)

***

موتُ (شوقي) آيةٌ دلّتْ على أنّ هذي الشّهْبَ يوماً تَنْكَدِرْ!

***

عدن: ٢٣ جمادى الثاني ١٣٥١هـ
الموافق ٢٣ أكتوبر ١٩٣٢م

(١) إشارة إلى قصيدة «نكبة دمشق» التي يقول فيها:
وللحرية الحمراء باب بكل يد مضرجة يُدقّ
(٢) سميه: هو (علي) الابن الأكبر لشوقي. مفقور: مكسور.
(٣) اقتباس من قوله تعالى: ﴿وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر...﴾ (سورة الكهف ٢٩).

صدى قصيدتين!*

من وحي قصيدتين للشاعرين الحضرميين الأستاذ محمد بن حسن بن شهاب(١) عن مساوئ المدنية الحاضرة، والأخرى للأديب الشاعر صالح بن علي الحامد(٢) في وصف مناظر جاوا:

لَعِبَتْ بحبّةِ قلبكَ الأهواءُ لِمَنِ القصيدةُ تلْكُمُ الغَرّاءُ؟!
غَمَرَتْ فؤادَكَ بالثُّمولِ ومِلْؤُهُ هَمٌّ، ولا وَتَرٌ ولا صَهْباءُ!

* نشرت في جريدة «العرب» الحضرمية العدد الصادر في ١٨ رجب ١٣٥١هـ الموافق ١٦ نوفمبر ١٩٣٣م بسنغافورا.

(١) محمد بن حسن بن شهاب (١٣١٠-١٣٦٣هـ/١٨٩٣-١٩٤٤م) من أبناء تريم بحضرموت، ورث نزعة الدعوة للتجديد والنهوض عن والده الأديب المصلح حسن بن علي بن شهاب الذي نادى بإصلاح التعليم في حضرموت وعدم الاقتصار على دراسة الفقه بالانفتاح على علوم العصر، وكتب في ذلك رسالة بعنوان «النحلة لانهاض الوطن ومن به فطن» نشرت بسنغافورة سنة ١٣٣٠هـ. التحق محمد بن حسن بن شهاب بوالده في سنغافورة وعمل معه في صحيفة «الوطن» التي أصدرها هناك ثم عمل مع السيد أحمد عمر بافقيه في صحيفة «العرب» ثم هاجر إلى صولو بإندونيسيا واشتغل بالتدريس. وربطته علاقة حميمة بالعلامة السيد علوي بن طاهر الحداد، وأصبح من تلاميذه، وبعد تعيين السيد علوي مفتيا لسلطنة جهور بماليزيا هاجر معه، وعمل بالتدريس في المدرسة العطاسية. له تاريخ مشهود في نهضة الصحافة العربية الحضرمية في سنغافورة وإندونيسيا وتطوير التعليم العربي الإسلامي فيهما، وله تراث أدبي بحاجة لمن يجمعه من دواوينه الشعرية المخطوطة التي لم ينشر منها إلا قصيدته النبوية «نسيج البردة»، طبعت بسنغافورة سنة ١٣٥٢هـ، وتراث نثري من المقالات الإصلاحية والمؤلفات التاريخية.

(٢) صالح بن علي الحامد: (١٣٢٠-١٣٨٦هـ/١٩٠٣-١٩٦٧م) من كبار شعراء حضرموت، ولد في مدينة سيئون، وتوفي فيها أمضى حياته متنقلا بين أرجاء الوطن =

فيمَ التمايلُ؟ لم يَمِلْ بكَ ما نَمى ... كَـرَمٌ، ولا ما أنجبتْ حـوَّاءُ!
ماذا ادَّكرتَ بها؟ أأيامَ الصِّبَا ... حيثُ الليالي بالسُّعودِ وِضَاءُ!
حيثُ الهوى رَيَّانةٌ جَنَبَاتُهُ ... والأصـدقـاءُ الـغُرُّ والنُّـدَمَـاءُ
كيفَ انطوْت تلكَ العُهودُ، وأقفرتْ ... تلكَ الرُّبوعُ، وشَطَّتِ النُّزَلاءُ؟
الـدهرُ أبخلُ أن يُـديمَ سعادةً ... للمرءِ فانظرْ كيفَ حالَ الماءُ؟
دعْ ذا ودونَك والعزاءُ فلمْ تَدُمْ ... في الـدهـرِ سـرَّاءٌ ولا ضـرَّاءُ
مَنْ كانَ حُسنُ الصبرِ تجفافاً له ... فـالبؤسُ والنعمى لديْه سواءُ
ما الماسةُ البيضاءُ إن حلَّلتَها ... بالعلمِ إلا الفحْمَةُ السَّوْدَاءُ!

***

يا (ابنَ الشهابِ) بعثتَها أنشُودةً ... للفضلِ قد طَرِبَتْ لها الحُكماءُ
عطفُ (الفضيلةِ) مالَ مِنْ طَرَبٍ بها ... وتَهَلَّلتْ فَرَحاً بها « الزهراءُ »!
من ينبئُ « العذراءَ » أنَّ بَنَاتِها ... لَعِبَتْ بها (المَدَنِيَّةُ) العَمياءُ؟
قذفت بهنَّ إلى ميادين الوَغى ... عُزْلاً بحيثُ تَطَاحَنَ البسلاءُ؟

ومهجر الحضارم في أندونيسيا وسنغافورة، شاعر ومؤرخ وفقيه صدرت له ثلاثة دواوين: «نسمات الربيع» ١٩٣٧، «ليالي المصيف» ١٩٥٠، «على شاطئ الحياة» ١٩٨٤م؛ يعد رائد الرومانسية في الجزيرة العربية، وكان عضواً في جماعة «أبولو» التي نشر في مجلتها الكثير من شعره، كما نشر في معظم مجلات العصر الشهيرة مثل المقتطف والهلال والثقافة إلخ، إضافة إلى مجلات وصحف المهجر الحضرمي. كتبت عنه عديد من الدراسات النقدية في مجلات مصر والشام آنذاك. لم تعرف له مكانته في الدراسات الحديثة بسبب عدم انتشار دواوينه في البلاد العربية الأخرى. ومن أهم مؤلفاته الأخرى كتاب: «تاريخ حضرموت» في مجلدين، ولا يزال الثالث مخطوطاً، وكتاب «رحلتي إلى جاوا الجميلة» =

كُنَّ الملائكَ والرجالُ عَبيدُها ... واليومَ هُنَّ ومنْ مَلَكنَ سواءُ
لَهفَ الجمالُ على حلاهُ مذالةً! ... لَعِبَتْ بها الأخياف والغوغاءُ(١)
تلكم جماهيرُ النسا بالغَربِ قد ... غَصَّتْ بها مُدُنٌ وضاقَ فضاءُ
يهلكن جوعاً في مَوَاضِعِ أزمَةٍ ... هَلَكَتْ بها العُمالُ والأجراءُ
قَسَتِ القلوبُ فلم تُعِرْهُنَّ الرِّثا ... هلْ للخُصُومِ من الخصومِ رثاءُ؟

***

هاجتْ بها مني الشَّجونَ فأسبلتْ ... مني الشُّؤونُ وذابتِ الأحشاءُ(٢)
إذ لاحَ لي شبحُ انقسامِ بني أبي ... فيها بحيثُ تمايلَ النعماءُ
فتمثَّلَتْ لي صُورتَانِ: فصورةٌ ... قيدُ العيونِ، وصورةٌ نكراءُ!
بين الشُّعُوبِ تُجِد في نهضاتها ... لعبتْ بقومي. جهْدَها. البغضاءُ
شطّوا وغالَوا في الشِّقاقِ وبينهُمْ ... دينٌ، ووَحْدَةُ موطنٍ، وإخاءُ
ظلمُوا المبادئَ إذ أساؤوا هَضْمَهَا ... يا للرِّجَالِ المحسنينَ أسَاؤوا!
إن المبـادئَ لا تفيدُ ثمارَها ... ما لم يجدْها الرفقُ والإغضاءُ

[illegible] في جمع مؤخر. وله مذكرات في ثلاثة أجزاء، ودراسات إسلامية بعنوان «على شرع الحق» وبحوث أخرى، ولكنها مخطوطة ومحفوظة لدى أسرته في حضرموت.
(١) [illegible] الحرف [illegible] ... من [illegible] ولم [illegible] والأخياف من الناس: المختلفة الأخلاق والأشكال [illegible] ... والغوغاء: السفلة من الناس.
(٢) ابتداء من هذا البيت إلى آخر القصيدة يعرج الشاعر على مأساة اختلاف قومه في مهجرهم الاندونيسي ويسدي لهم النصح.

فَتَصافحوا بيدِ الإخـاء. فإنَّما | فوزُ العشيرِ على العشيرِ بلاءُ
وضَعُوا على أقدامِكم ما قدْ مضَى ا | ما بينكم تِـرةٌ ولا أشـلاءُ(١)
ودعوا السِّبابَ فإنه عارٌ بكمْ | إن كانَ يُجملُ بالكلابِ عواءُ(٢)
قد آنَ أن تشفى الحُقُودُ وتنتهي | سِنةُ الرُّقـودِ وتُـنبذَ الأهـواءُ
فإلى متى تبقون في حالٍ لها | يبكي الحليمُ وتضحكُ السفهاءُ؟!

***

عدن: ١٨ رجب ١٣٥١هـ
الموافق ١٦ نوفمبر ١٩٣٢م

(١) [illegible]
(٢) يقصد به ما تراشق به [illegible]
[illegible]

نهضة عدن

هذه أبيات ارتجلها الناظم في الحفلة التي اقيمت لتكريم السيد الفاضل عبدالله بن احمد بن يحيى(١) بنادي الشيخ عثمان (٢):

بني الإصْـلاحِ حيِّيتُمْ | بـأنـفـاسِ الـتـحيَّـاتِ
بـنـيـتـم لـلـعـلا صـرحـاً | يـنـيـفُ عـلـى الـبـنَـايـات
يـردُّ الـطـرفَ مـحـسـوراً | بـإعـجـابٍ وإخـبَـاتِ

(١) عبدالله بن أحمد بن يحيى العلوي. (١٣١٣ - ١٤١٤هـ / ١٨٩٦ - ١٩٩٤م) شاعر وصحفي وسياسي ودبلوماسي، ولد بسنغافورة، وعاد صغيراً إلى وطنه حضرموت ليتلقى علمه الأولي، أصدر في حضرموت جريدة «عكاظ»، وسافر إلى مصر، وحصل على شهادة عالمية من الأزهر سنة ١٣٥٢هـ، كتب في الكثير من الصحف والمجلات العربية والمهجرية. عمل رئيساً للرابطة العربية في سنغافورة، وعندما اندلعت الحرب العالمية الثانية عمل لمدة أربع سنوات ضد الدعاية الاستعمارية في [illegible] وحكمت عليه سلطات الحلفاء بالإعدام [illegible] سنة ١٩٤٧م، ثم عاد إلى سنغافورة [illegible] شرق [illegible] في المؤتمر الإسلامي الذي عقد سنة ١٩٥١م في كراتشي [illegible]

(٢) نادي الشيخ عثمان [illegible] نادي الإصلاح العربي [illegible] سنة ١٩٣٠م [illegible]

ألا للـــه درّ كـــمُ ... تـــوافـــدتُمْ زُرافَـــاتِ
إلـى الـعـزِّ إلـى المـجدِ ... إلى الغاي البعيداتِ(١)
إلى التفكيرِ في الماضِي ... وفـي الحـاضـرِ والآتـي

***

كـانّ (الـشيخَ عثماناً) ... بـكُمْ مطْلَعُ هـالاتِ
بكمْ قد أشرقَتْ (عدنٌ) ... بـأقـمـار مضيئَاتِ
فـأنـتُـمْ أنـتُـمُ المصْبَا ... حُ وهـيَ لكُمْ كمشكاةْ
وحسبُكُمْ بـ (لقمانَ) ... زعـيـمـاً طاهر الـذّاتِ
وحسبُكُمْ بـ (لقمانَ) ... خطيباً في الجماعاتِ
يقيمُ النّهْضةُ الكُبرى ... بـعـزْمٍ قـاهـرٍ عـاتِ
و(لـلأصـنـجِ) إعـظـامٌ ... بـأعـمـالٍ كـريمـاتِ(٢)

---

(١) الغاي: الغايات

(٢) هو الأستاذ أحمد محمد سعيد الأصنج (١٣٢٧–١٣٨٨هـ/١٩١٠–١٩٦٩م)، من مواليد عدن، تلقى تعليمه في مدارسها حتى المرحلة الثانوية. اشتغل في الأعمال الحرة كمترجم وكاتب عرض حالات في الشيخ عثمان/عدن. برز كشخصية اجتماعية خلال عقود الثلاثينات حتى الستينات. كان من مؤسسي نادي الإصلاح العربي في الشيخ عثمان سنة (١٣٤٨هـ/١٩٣٠م). وقد أسهم من خلال النادي في الحركة الثقافية الحديثة في اليمن، فاكتسب مكانة رفيعة في الوسط الثقافي، وكان شغوفاً بقراءة الصحف ومراسلتها، ونشر بعض المقالات في صحيفة «العرب» التي كان يصدرها أحمد عمر بافقيه في سنغافورة، وفي صحيفة «الشورى» التي كان يصدرها في مصر محمد علي الطاهر، ويغلب على مقالاته المنحى الاجتماعية والأدبية. صدر له آنذاك كتابان هما: (نصيب عدن من الحركة الأدبية والثقافية)، =

مـسـاعٍ سطّرتْ فوقَ ... جبينِ الـدّهـرِ آيـاتِ
وسـائرُكـم كـرامٌ لَيـ ... ـسَ تـرضَـوْنَ الـدّنيـاتِ
فـلـلـهِ مـساعيكُمْ ... عـظـيـمـات جـلـيـلاتِ
ولـلـهِ نـفـوسُكُمُ ... كـريمـاتٌ أبـيـاتِ
وقـدْ كـرَّمْتـمُ شبلاً ... نمـا مـن أُسْـدِ غـابـاتِ
أديـبـاً شاعـراً شهماً ... جـديـراً بـالـكـرامـاتِ

***

= و(أريج عدن). كان يقصده الأدباء والكتاب والمفكرون الذين يقيمون في عدن أو يمرون بها، ونشأت بينه وبينهم صداقات حميمة من بينهم علي أحمد باكثير، خاصة في فترة إقامته بعدن.

ساهم في إنقاذ بطل الريف المغربي الأمير عبدالكريم الخطابي، فقد صادف أن مرت قبالة عدن باخرة فرنسية تحمل على متنها الأمير الخطابي، فاستغل الموقف وبعث بأربع برقيات إلى كل من محمد علي الطاهر، وإلى عبدالرحمن عزام أمين عام الجامعة العربية، وإلى محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر، وإلى مصطفى النحاس رئيس وزراء مصر وإلى غيرهم، يخبرهم بأن الباخرة الفرنسية التي تقل الخطابي قد مرت ميناء عدن، وسوف تصل إلى قناة السويس، وسترسو في الميناء الفلاني يوم كذا، وطالبهم بأن يعملوا جهدهم لتخليصه من الأسر، وقد نجحت مساعيه.

قاد حركة استنهاض وإصلاح وتنوير في عدن، حيث عمل مع آخرين على رفع مستوى أخلاق الناس التي كانت قد تأثرت بعض الشيء لوجود محلات للدعارة ولشرب الخمر، حيث كان السلطات البريطانية قد سمحت بإقامة بعض المحلات للدعارة من أجل الترفيه عن جنودها. كما عمل على محاربة الدجل والخرافات والعادات الدخيلة على الإسلام، وطالب بتحسين مناهج مدارس البنات، وإنشاء كلية عدن، والمعهد الفني. سعى لتوظيف بعض العاطلين عن العمل، وعمل على إنشاء مدرسة ابتدائية في الشيخ عثمان، وأسندت إدارتها للشيخ أحمد عوض العبادي. كان يتصل ببعض =

تسامى فضلُكمْ حتى	تعلّقَ بالسماواتِ!
فما تصنعُ أشعاري	وما تصنعُ أبياتي؟

***

عدن: ٢٥ رجب ١٣٥١هـ

الموافق ٢٣ نوفمبر ١٩٣٢م

[illegible]

[illegible] كما سعى للحصول على بعض [illegible] الدراسية، وإيفاد بعض الطلاب للدراسة في الخارج، وسعى أيضاً بالضغط على بريطانيا لإدخال بعض الإصلاحات في نظام التعليم بعدن ورفع مستواه لتمكين الخريجين من مدارسها من الالتحاق بالمعاهد والجامعات البريطانية.

صدى النهضة الحضرمية

نشرت مجلة النهضة الحضرمية الصادرة في سنغافورة في عدديها ٣، ٤ لسنة ١٣٥١هـ تقريظاً بقلم محررها الأستاذ طه بن أبي بكر بن طه السقاف* يقول:

«صديقنا الأستاذ الشيخ علي أحمد باكثير شاعر نابه المكانة بين شعراء حضرموت، ولعل من أروع قصائده قصيدته التي حيّا بها (الرابطة العلوية)، وقد بعث حضرته إلينا بهذه القصيدة البديعة محيياً بها (النهضة الحضرمية)، فنشكر من صميم أفئدتنا ونستمنح الباري أن يهبنا روحاً من عنده ويوفقنا لخدمة الدين والوطن».

هلْ لليالي الماضياتِ مُعيدُ؟	وهلِ الزَّمانُ بمثلِهنَّ يَجُودُ؟!
ما زلتَ تبكي الشَّجوَ سالفةَ المُنى	حتى بكى لبكائكَ الجلمودُ
ما أنتَ والذكرَ الأليمةَ إنها	دمُ الشَّقاءِ فما بهنَّ تَرودُ؟!(١)
أتريدُ بالذكرَى رُجوعَ عُهودِها؟	كذبتكَ نفسُكَ ما ظللتَ تريدُ!
رفقاً بقلبكَ لا يذوبُ من الأسى	إنّ المُغاضرَ بالأسَى موؤودُ(٢)

* طه بن أبي بكر السقاف (١٣٢٧-١٣٨٣هـ / ١٩١٠-١٩٦٤م) أديب وصحفي [illegible]

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

أ فَهَلْ بَلغتَ من المشيبِ عتيّهُ ... حتى غدوتَ اليأسُ فيكَ عَتيدُ

ما زلتَ في شطِّ الحياةِ ولم يزلْ ... ثوبُ الشبابِ عَليكَ وهوَ جديدُ

ما انكرتْ فيكَ المعالي كُفْأَها ... -رغْمِ الخطوبِ- ولا جفتكَ الغيدُ

وإذا الفتَى سلمتْ له عُدَدُ العُلَى ... وحلا الهَوَى فَلْيَحْيَ وَهْوَ سعيدُ

قفْ مَوْقفاً بينَ المعالي والهَوَى ... تَنَلِ العُلَى والعيشُ منكَ رَغيدُ

إنّ الموفقَ للقيامِ وللوَفا ... بحقوقِ كُلٍّ منهما لَرَشيدُ

والغانياتُ مَتَى سَددْنَ على الفتَى ... سُبُلَ العُلَى فمصَابُهنَّ شديدُ

من قبلُ ما أودَيْن (بابن زُبيدة) ... ولها بِهنَّ عن الكمالِ (يزيدُ)(١)

والمجدَ - غيرَ مُزيّنٍ - حنباتُهُ ... بالحبِ، مجدٌ ساذجٌ محدودُ (٢)

والحبُّ أمُّ الكونِ في أحضانه ... تلدُ الحياةَ وينشأ الموجودُ

***

أم شاقَ قلبَكَ عهدُ ندمانٍ له ... وُدٌّ بأعماقِ الفؤادِ أكيدُ

حالَتْ مودّاتُ الرّجالِ، وودُّهُ ... باقٍ على أنّ المزارَ بعيدُ

---

(١) يقصد بابن زبيدة الأمين ابن هارون الرشيد وأمه زبيدة زوجة هارون الرشيد، وقد ولي [illegible] بعد [illegible] واشتهر بميله للجواري، ونشب بينه وبين أخيه المأمون قتال [illegible] في [illegible] الخلافة [illegible] أما يزيد فأغلب الظن أنه يقصد به يزيد بن عبد الملك بن مروان الذي يضرب به المثل في العشق حتى الموت لموته حزناً وكمداً على [illegible] حبابة التي شرقت بحبة عنب في مجلسه، وماتت بين يديه.

(٢) الساذج (بفتح الذال وكسرها) معربة عن الكلمة الفارسية: « ساده » وتعني الخالص الصافي غير المشوب وغير المنقوش، وقالوا: حجة ساذجة أي غير بالغة.

مـلآنَ مِـنْ كـرمٍ، فـأمّـا فعلُه ... فرضي، وأمّـا خُلقه فحميدُ

نادمْتُه - والدهرُ في غفواته - ... في (حضرموتَ) وكلُّ يوم عيدُ

إذ تستحثان الكؤوسَ فأنتما ... بين الشموسِ مدرُها الناجودُ(١)

طوراً تسوقانِ الحديثَ إلى الهَوَى ... كيفَ (الربابُ)؟وهلْ تجودُ (سُعودُ)(٢)

تتراضيانِ الصبرَ علَّ صغيرةً ... تنمو وعلَّ توسّلاً سيفيدُ!

وتَقارضانِ الشِّعرَ طوراً خلوةً ... نغماتُه يعلو بهنَّ نشيدُ

(وابن الحسين) وصاحباه لديكما ... و(أبو نواس) (والرضيُّ) شهودُ(٣)

وَجِماعُ لَذّاتِ الزمانِ ثلاثةٌ ... شعرٌ وكأسُ مدامةٍ وخرودُ(٤)

لا يؤيسَنَّكَ من صديقِكَ بُعده ... تطوي البحورُ ولا تحولُ البيدُ

ولرُبما جَمَعَ الشتيتين الهوى ... يوماً وأورقَ بعد يبسٍ عودُ

***

هدي صحيفتُهُ تمثّلُ رَوحه ... حتّى السُّطور كأنهُ مشهودُ

---

(١) تستحثان الكؤوس: كناية عن طيب الذكريات التي جمعتها في مجالس الشاي التي تشتهر بها حضرموت [illegible] الشموس [illegible] مكان شروقها الناجود اسم للخمرة والمقصود الشاي، و[illegible] في حضرموت بسبب إدمان أهلها عليه، وله [illegible] ([illegible] في بلاد الأحقاف)

(٢) الرباب وسعود رموز للأسماء المحبوبة في [illegible] الشعري

(٣) يقصد بابن الحسين أبا الطيب المتنبي وبالرضي [illegible] الرضي

(٤) جماع كل شيء: مجتمع أصله. الخرود: المرأة الحيية أو البكر

كَنزٌ من الآدابِ أخرجَه لنا ... (طه) الأديبُ الأروعُ الصِّنديدُ
جمعَ اللآلئَ فاتسقْنَ جواهراً ... يحلو بهنَّ من البيانِ الجِيدُ
يضْطرُّ قارئُها إلى إتمامِها ... نغمُ البيانِ كأنه تغريدُ
ما الرّوضُ باكرَه بآذارَ الحيا ... فتضاحَكَتْ بحفافتيه ورودُ(١)
وتبسَّمتْ أزهارُه وتهدَّلَتْ ... أثمارُه العنقودُ فالعنقودُ
بألذَّ فاكهةً وأجملَ منظراً ... منها يزيدُ جمالَها التَّرديدُ
تَدعُ التعصبَ جانباً فتجيئنا ... بيضاءَ إذْ صحفُ المَهاجرِ سودُ(٢)
بُليتْ بأقذارِ الشتائمِ ثُلّةٌ ... منها وأخرى شانَها التقليدُ
تخشى انبثاقَ النورِ من فجرِ الهُدَى ... فيُفكُّ غلٌّ أو تُحلُّ قيودُ

***

أبني أبي إنّ الشِّقاقَ مَذَلّةٌ ... والدِّينُ يصحُّ والإلهُ شهيدُ
ماذا التعالي والتلاحي بينكم؟ ... والحالُ تؤلمُ والعدوُّ يكيدُ؟

---

(١) [illegible] آذار: مارس شهر من السنة الميلادية، وهو أوان دخول فصل الربيع.
(٢) [illegible] الخلاف الذي نشب بين العلويين والإرشاديين في المهجر الإندونيسي [illegible] [illegible] صحف [illegible] [illegible] حضرموت [illegible] ١٩٢٣م [illegible] ١٩٢٥م [illegible] ١٩٣٠م [illegible] ١٩٣١م [illegible] الإصلاح [illegible] ١٩٣٠م وقد صدرت صحف ومجلات [illegible] نهضة حضرمية [illegible]

وبنو الفَرنجة سائدونَ علَيكمُ ... فعلامَ يفخرُ أعبدٌ ومسودُ؟
أجهلتمُ يا قومُ أن نساءكم ... لهمُ إماءٌ والرجالَ عبيدُ؟
الفخرُ يُحمدُ في مُنازَلَة العدى ... لاحيثُ يُجمعُ مَوطنٌ وجدودُ؟
ثُوبُوا إلى (القرآن) لا يصدُدْكُمُ ... عنه جحودٌ أو هَوًى وجُمُودُ
وذروا التقاليدَ العتيقةَ إنها ... عبْءٌ على المتنورينَ عتيدُ
لا تنكرُوا (التجديدَ) في عاداتكم ... فالعصرُ من آياتهِ التجديدُ
وامشُوا على سننِ الخليقة إنها ... تبقى وتثبتُ، والحبالُ تبيدُ
ومن العناء بناءُ سدٍّ حاجزٍ ... في وجه سيلٍ ما تقيه سدودُ

***

(طه) عليكَ من البحارِ تحيّةٌ ... كنسيمِ خُلقكَ نفحُها المودودُ
نوّهْ بآدابِ البلادِ مباهياً ... تخفقْ عليها للفخارِ بُنُودُ(١)
وانشرْ محاسنَ (حضرموت) فإنّها ... للباقياتِ الصالحاتِ ولُودُ
واندُبْ إلى الإصلاحِ بالحسنَى فلا ... إصلاحَ حيثُ اللومُ والتنديدُ
وانعَ الجمودَ فنعيُه أشهَى إلى ... أسماعنا مما يرنُّ العُودُ!
هذا مجالُ المَجدِ دونَكَ واسعاً ... فاركَبْ جوادَ العَزْمِ حيثُ تُريدُ
واقرَعْ بكفِّكَ أيَّ بابٍ شئتَه ... ينبذْ لكَ المفتاحُ والإقْليدُ(٢)

---

(١) بنود: رايات.
(٢) ينبذ: يلقي. الإقليد: المفتاح.

وتغابَ عن لغط الحسود فحسبُ منْ	فرعَ المعاليَ أن يراه حسُودُ(١)
واذكرْ أخاً لك إن تشُطَّ به النَوى	سَلاهُ عنك نُهوضُكَ المنشودُ
اللّهُ أكبرُ إذْ حديثُكَ كلّه	دُررٌ، وهذا صوتُك المعهُودُ

***

عدن: ١٠ شعبان ١٣٥١هـ

الموافق ٨ ديسمبر ١٩٣٣م

موقع الأديب
★ علي أحمد باكثير ★
www.bakatheer.com

(١) تغاب: تجاهل. فرعَ المعالي: علا قومه مكانة وشرفاً.

ماذا في عسير؟!*

نظمها في تأييد الملك عبدالعزيز ضد مناوئيه والدعوة إلى وحدة الجزيرة بإقامة تحالف مع اليمن:

فــارتْ تـنـانـيـرُ الـثُّـبـورْ	وبــدتْ خـفـيـاتُ الأمــورْ
وتـفـلّـقَ الإصـبــاحُ عن	قتلى وصرعى في (عسيرْ)(١)
هــذا يـئـنُّ مــنَ الجـرا	ح وذاك مـوصـولُ الزفـيـر
وعـلـى ربـاهـا رُبَّ حُـرٍّ	يـلـفـظ الـنَّـفَـسَ الأخـيـر
تـلـك الـدمــاءُ الـيـعـربـيـةُ	أهـرِقَــتْ فـوقَ الـصخـورِ!
سـالـتْ عـلـى الـشـفـرات يـنـ	ـضـحُ من حـواشـيـهـا العبير
سـيـقـتْ عـلـى دهَـشٍ إلـى	حـربِ الـعـشـيـر مـع العشير
ســارتْ إلـى غـيـر الـرشـا	دِ بـهـا شـيـاطـيـنُ الـغُـرور

*نشرت بمجلة الفتح في العدد ٣٢٧ بتاريخ ١٥ رمضان ١٣٥١هـ/ الموافق ١١ يناير ١٩٣٣م بتوقيع «شاعر اليماني»، وما نشر مطابق للأصل المخطوط.

(١) في هذه القصيدة يتابع الشاعر معارك الملك عبدالعزيز ضد مناوئيه في أطراف الجزيرة والحجاز [illegible] في قصيدتي «يا من لليل العرب» و«نشيد يوم العقبة»، وتاريخ نشر القصيدة [illegible] على أنها نُظمت أثناء احتدام المعارك بين القوات السعودية والأدارسة الذين نقضوا عهدهم مع الملك عبدالعزيز، فكانت نهاية ملكهم وانضمام منطقة عسير إلى المملكة العربية السعودية.

أعداءُ أنفسِهم عبيدُ دراهـ … ـم الخبُّ الـغَـدُورْ(١)
نشروا كتابات بها … فاحتْ قماماتُ الصدورْ
وتضلعتْ فيها أفاعي الخبـ … ـثِ من خللِ السطور
رامُوا بها شغباً على الـ … ـملكِ السعوديِّ الكبير

***

(عبدِالعزيز) مجدد الـ … آمالِ في الزّمنِ الأخير
ومطهرِ الحرمين من … بدعٍ تناستها العصور
[illegible] علة الإسلام أ… ذرنا بها الهادي البشير
[illegible] تدلّتْ أمةٌ … تخذتْ علالتها القبور!
[illegible] بها عمّا تصد … به سَنِيّاتُ الأمور

***

[illegible] الإله عصبةٌ … هتكتْ من الدينِ الستورْ
[illegible] على الإسلام شرٌّ … من (قريظةَ) و(النُضير)(٢)
[illegible] دفاعٍ عن (الحجـ …) وكلُّه كذبٌ وزُور
[illegible] (نسيتْ ال… توحيد) مولاه الغفور؟!

[illegible] حركات ثورة [illegible] والسلاح [illegible] في [illegible] السعودي بعد [illegible] رئيس حزب [illegible] وكيله في تمويل [illegible]

[illegible] ثورة [illegible] عهدهما مع [illegible]

مـاذا نقمتمْ غيرَ شـ … ـلِّ يدِ المظالمِ والفُجور؟
إذ تظلمونَ وتفعلونَ … وتتركونَ. ولا نكيرا!
إن الكبيرَ إذا بَغَى … أغضى على ظُلمِ الصغير!
أتلمظونَ إلى موا … ئدِ ذلكَ العهدِ النضير؟
إذ أنت – ياذا – المستشا … رُ وأنتَ – ياذاك – الوزيرا!
لا تكذبنَّكمُ المُنى … إن المعادَ هو النشورا!

***

يا (فيصلُ الدويشُ)! يا (ابنَ … رفادة). يا (ابنَ الأمير)(١)
أنتم ثلاثةُ إخوةٍ … ستقودون إلى السعير

---

(١) ابن رفادة: سبقت ترجمته، وابن الأمير يقصد به الأمير عبدالله بن الحسين، وفيصل الدويش: (١٢٩٩-١٣٤٩هـ = ١٨٨٢-١٩٣٠م) آخر شيوخ مطير، صحب الملك عبدالعزيز في صباه وحالفه سنة ١٣٣٠هـ (١٩١٢م) فقصد أطراف العراق مع جماعة من أنصاره فطاردته السلطات العثمانية، فعاد إلى نجد فأنزله الملك عبدالعزيز في الأرطاوية، وأمده لإخضاع عشائر من نجد خرجت عنه فانتصر عليها، وانتصر في معركة بينه وبين الشيخ سالم بن مبارك الصباح سنة ١٩٢٠م، فاحتل جهرة من أراضي الكويت، وتدخل البريطانيون [illegible] وحده [illegible] سنة ١٩٢٥م [illegible] الملك عبدالعزيز [illegible] لم يتم حكمه [illegible] فانتصر عليه الملك عبدالعزيز في موقعة (السبلة) [illegible] وعفا عنه الملك عبدالعزيز، إلا أنه عاد للتآمر فلجأ إلى بادية العراق، وبعد مفاوضات مع الإنجليز [illegible] الملك عبدالعزيز [illegible] الأحساء سنة ١٩٣٠م، فمات بعد سبعة أشهر

إنـي البـشيرُ لمن ثوى ... منـكم. وللباقي نـذيرا
وأولـئكَ الـوزَغـاتُ نافثـ ... ـةُ المفاسدِ والشرور[1]
قاءتْهُم (أمُّ القرى) ... ونفاهُم (الحرمُ) المنير
نفخت أصولُهم على ... نارِ (الخليلِ) لتستطير[2]
وفروعُهم نفختْ على الـ ... إسلام كيراً بعدَ كير
خربتْ ضمائرُهم فـ ... إحساسَ فيها أو شعور
إن الألى قد عرَّضوا ... وطنَ العروبةِ للمُغير
لا يطْهرُونَ ولو دَبَغْـ ... ـتَهُمُ بحرّيفٍ طَهُورا[3]

***

رُدِّي جفونك يا (مصوّ ... عُ) وهي خاسئةٌ حسيرا[4]

---

(١) الوزغات: مفردها وزغ للذكر، ووزغة للأنثى، وهي سام أبرص نوع من السحالي، ويقال إنها كانت تنفث في النار التي ألقي فيها إبراهيم عليه السلام لتزيد اشتعالاً، وقد ورد في الحديث استحباب قتلها عن أم شريك رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرها بقتل الأوزاغ، وقال: «كان ينفخ على إبراهيم» متفق عليه (انظر رياض الصالحين للإمام النووي حديث ١٨٦٣ و ١٨٦٤)

(٢) الخليل إبراهيم عليه السلام. والمعنى أنهم يؤججون بأفعالهم الشريرة نار إبراهيم التي كانت عليه برداً وسلاماً بإذن الله ويحولونها إلى نار محرقة، أي إنهم يهدمون السلام.

(٣) حريف: حاد أو حارق ويأتي كناية عن قوة التأثير

(٤) مصوع: ميناء على البحر الأحمر في أريتريا كان عبدالله بن حسين قد عقد صفقة سلاح مع إيطاليا أرسلت إلى ميناء مصوع ليستلمها مندوبه حسين الدباغ وهو من أتباعه الذين دعمهم لتأسيس «حزب الأحرار» وذلك بهدف تمويل الحركات المناوئة في الحجاز=

من دون أن تطئي (عسيـ ... ـرَ) صليلُ أسيافٍ ذكورا
وسواعدٌ منها تطيحُ ... بها وهاماتٌ تطير
فأمامَكِ الأسدُ الهَصُورُ ... وخلفَكِ الأسدُ الهصور[1]
(يحيى حميدُ الدين) فخـ ... ـرُ العُرب مولاها الغيور[2]
وحليفُهُ (عبدالعزيز) ... الفارسُ البطلُ الشهير
سيفان مصقولان لم ... تسمحْ بمثلِهما الدهور
سلّتْهُما سَلّاً على البـ ... ـاغي يدُ الله الخبير
رأيَا العدى بهما تربـ ... ـصَ للدوائرِ أن تدور
فترابَطا. فكلاهما ... لكليهما نِعمَ النصير

***

(عبدَالعزيز) تَهَنَّ بالنُّـ ... ـعمى وبالمُلْكِ الخطير
فلأنت ذخرٌ في الخطو ... بِ وأنت في الظُلمات نور!
أنقذت مهدَ الدين من ... خطرٍ تهدَّده مُبير[3]

وعسير، وقد غادر الدباغ مصوع بعد ذلك إلى عدن، ومنها إلى جدة، ولكنه لم يجد من عشيرة فتشتت محاولته جميعاً، وكاد الكبير في عدن في تلك الفترة، وكتب هذه القصيدة إعلاناً صريحاً منه عن موقفه مما يحدث في قلب جزيرة العرب

(١) دعا الشاعر في هذا البيت وما بعده دعوة خير لجزيرة العرب ثم لتحالف الإمام يحيى حميد الدين مع الملك عبدالعزيز

(٢) يحيى حميد الدين، سبقت ترجمته ص٧٨

(٣) مبير: مهلك.

فحفظتَ مجدَ العُرب منه   وكـانَ منه على شفير(١)
اضـربْ بسيفِك مـن بَغَوْا   وأذقْ لحومَهـمُ النسور
رأسُ الفسـاد قطعتَه   فلتقطعِ الذنَبَ الأخير(٢)

***

واقبـلْ . فُـديـت . تحيةً   مـن شاعـرٍ حُـرِّ الضمير
هـجرَ الصبابة والتغزل فـ   ـي سوى (الوطنِ الكبير)
(وطنُ العروبة) من رُبى   (نجد) إلى (اليمنِ) الغرير(٣)
يبكي النَّجيع إذا بكى   ويسـرُّه منه السُّـرور(٤)
ويـذودُ عنه الطويـل   مـن الأسـنة والقصير
ولـو استطـاع حماطه   وبنيه – من دمه بسُور!

***

عدن: ٢ رمضان ١٣٥١هـ

الموافق ٢٩ ديسمبر ١٩٣٢م

(١) شفير: حافة الشيء.

(٢) الذنب الأخير: أبي عبد الله بن الحسين.

(٣) الغرير: العيش الناعم.

(٤) النجيع: الدم المائع.

تُرى ما العمل؟

كتب إليه من عدن صديقه الشاعر المجيد الأديب البارع الشيخ عمر محمد محيرز(*) ضمن رسالة له هذه الأبيات وأرسلها له من عدن إلى هرقيسة:

تَطَرَّقَ – إذْ بنتَ عنّي – المَلَلْ   إليَّ، ودَبَّ لجسمي الكَلَلْ(١)
وإنّـي لأعلَـمُ أن الغيـابَ   –بقُربِ الإيابِ– قصيرُ الأجلْ
فكيفَ إذا جَدَّ حدُّ الفراقِ   وشطَّ المزارُ، تُرى ما العَمَلْ؟

***

(عليُّ)! أليسَ مِنَ الوُدِّ أنْ   تَمُنَّ بما فيّ يُحيي الأمَلْ
تجودَ علَى مَنْ لو انَّ الوَرَى اسْـ   ـتَعانوا عليه بشتّى الحِيَلْ
على أن يُملّكَ – في زعْمِهِمْ –   لما رضيَ الكونَ منكَ البَدَلْ

***

تفضّلْ وَمَنّ بعصماءَ منْ   فرائدكَ الباتراتِ مَثَلْ

(*) عمر محمد محيرز (١٣٢٧ – ١٤٠٢هـ / ١٩١٠ – ١٩٨٢م). من أبناء مدينة شبام بحضرموت، ولد في عدن وتعلم بمدارسها، وعمل موظفا حكوميا في الجهاز الإداري لمستعمرة عدن، وتنقل للعمل في عدد من سلطنات الجنوب العربي سابقا. كان من المهتمين بالأدب والثقافة، ونظم بعض الشعر. وقد التقى به الشاعر علي أحمد باكثير في عدن، وربطتهما علاقة وطيدة امتدت إلى ما بعد رحيل باكثير من عدن إلى مصر حيث تواصلا بالرسائل.

(١) بنت عني: بعدت عني.

فنثرُكَ دُرٌّ إذا ما نظمْـ ... تَهُ ازْدان عقداً بها قد كَمَلْ
يضيءُ على جيد هذا الزما ... ن فيبدي لنا من سَنَاك الأجلْ
لوَ انَّ (أبا طيبٍ) عادَ لِلْـ ... ـحياةِ لكبَّرَ عُجباً وهلّ (١)
وألقى القيادَ قيَادَ القَريض ... لشاعرنا العبقري المُكتمل(٢)
وهذا (ابنُ زيدونَ) قدْ شَاقَه ... صنيعُكَ رُغمَ البِلَى فاستهلْ(٣)
مُـلُوكُ الكلام هـمُ الشعرا ... ءُ إذا صَحَّ أن للكلامِ دُوَلْ
وأنت إمـامُـهُـم المرتَـضَى ... فدَعْ عنكَ وهمَ الخُمولِ وخَلّ(٤)
ودونَـكَ هـذا مَجَالُ العُلَى ... فشمِّرْ وجاهِدْ جهادَ البَطَلْ

***

عدن ٤ شوال ١٣٥١هـ
الموافق ٣٠ يناير ١٩٣٣م

---

(١) ... طيب المتنبي
(٢) تخفيف ياء (العبقري) للضرورة
(٣) ابن زيدون: أبو الوليد أحمد بن عبدالله (٣٩٤-٤٦٣هـ / ١٠٠٤-١٠٧٠م) وزير وشاعر أندلسي اشتهر بحبه لولادة بنت المستكفي، وقد ابتلي بمحنة السجن
(٤) المرتضى: أي أنت الذي ارتضوه إماما لهم.

محيرز .. أنت صديقي

فأجابه صاحب الديوان على الفور بهذه الأبيات:

لنبّهْتَ من شُهْرَتي ما خَمَلْ ... وأطلعْتَ من همّتي ما أفَلْ
(مُحيرزُ) أنتَ صديقي الوفيّ ... وخِلّي الكريمُ وصنوي الأجلّ
قدحتَ زنادَ الهوى في الفؤا ... دِ فأصْبَح بعدَ الخُبُوِّ اشتَعَلْ
وذكّرتَني بعهودِ الصِّبا ... وأيامِيَ السالفاتِ الأُوَل
ومَرْتَع لَهْوِي (بدارِ السلام) ... ومُنتزَهي بينَ تلك الحِلَلْ(١)
وعيشيَ بين غصُونِ القدُودِ ... وورد الخدود وسحر المقل!
ومُنتقلي في سِني الوصْلِ بين ... سنِين الرضى وشهُور العسلْ(٢)
(بسيئون) حيثُ الهواءُ الطَليقُ ... وطيبُ الغدايا وحُسنُ الأُصلْ(٣)
وحيثُ أحبّتيَ النازلونَ ... بقلبيَ من قبلِ ذاكَ المحلّ
ألا ليتَ شعريَ كيفَ انْطَوى ... زمانُ السُّرور وكيفَ اضْمَحَلّ؟
ومـن يتذكّرُ أيّامَهُ ... فهَلْ يَملكُ الدمعَ أن يَستهِلْ؟!(٤)

---

(١) دار السلام: الاسم الذي أطلقه الشاعر على مسكنه في مدينة سيئون وهو المنزل الذي أمضى فيه أجمل سنوات حياته هناك، ويتم تجهيزه حاليا ليكون متحفا ومركزا ثقافيا يحمل اسمه كثير
(٢) سنين الرضى: أثبت الواو لضرورة الوزن، والأصل حذف الواو للإضافة
(٣) سيئون: سيئون وهي ثاني كبرى مدن حضرموت بعد المكلا، وهي موطن أسرة آل باكثير إلى اليوم. الغدايا: المقصود أول النهار. الأصل: جمع أصيل وهو آخر النهار
(٤) المقصود أنه لا يملك إلا أن يستهل.

***

وَما أنسَ لا أنسَ عهداً (بشمـ — ـسانِ) جادَ به الدَّهرُ بعد البُخُلْ(١)

تـنـصَّـلُ دهْــريَ ممـا جنَـى — وعُــذرُ زمـانـيَ عـمّـا فَـعَـلْ

لقيتُ بـه الأصـدقـاءَ الـكِـرَامَ — دُعـاةَ (الـصـلاحِ) أُسـاةَ العِلَلْ

وفـيـهـمْ فـتـى شـاعـرٌ بــارعٌ — يسيرُ إلى المجدِ سيرَ البَطَلْ

أسـانـيَ مـن بـالـغـاتِ الجـروحِ — وأطْفـا بجانحتيَّ الغُلَلْ (٢)

ووافـانـيَ الـيـومَ مـنْ شعره — شــواردُ ســائـرةٌ كـالمثـلْ

وأعـذَبُ مـن رشفـاتِ اللَّمى — وأطيبُ من خَلَسَاتِ القُبَلْ!(٣)

فـكـانَ عـلـى كَـبِـدي سـلـوةً — تخففُ منْ وجديَ المُشتعلْ

أشــادَ بمـدْحـي وإنــي لأعْـر — فُ أنّي الضعيفُ وأني الأقلْ

ولـكـنْ أبـى خُـلْـقُـهُ لـي خـ — ـفَ نشرِ الجميلِ وسَترِ الخَلَلْ (٤)

فـإنْ كنتُ أصلاً كما يدَّعي — فيا رُبَّ فـرعٍ لأصـلٍ فَـضَـلْ

***

هرقيسة : ٧ شوال ١٣٥١هـ

الموافق ٢ فبراير ١٩٣٣م

---

(١) حرك الخاء، وأصلها التسكين.

(٢) جمع غلّة وهي شدّة الظمأ.

(٣) المقصود التقبيل على غفلة. اللّمى: سمرة في الشفة تُستحسن.

(٤) خلل: النقص.

وصية محيرز

إلى الأخ الأديب الشيخ عمر محمد محيرز:

(عمر) الحافظ أوصاني بأنْ — أوجز القـول وَصـايـا باهظةْ

فلِـذَا أسْـرَعْـتُ إسراعاً كَـمَا — يَعْلَقُ الشعرُ بتلك الحافظة!

حنانيك يا لقمان !

إلى الأستاذ محمد علي إبراهيم لقمان! بعث بها إليه ببربرة من هرقيسة بالصومال في طي كتاب:

قَسماً ما لنا سِـوَاكَ ملاذُ ... فحنانيك أيُّـها الأستـاذُ!
لوْ تعطَّفتَ فانثنيتَ إلينا ... لاستتبتْ لنا المُنى والملاذُ
في ربا (هرقيسا) هواءٌ وماءٌ ... ورِيـاضٌ، ووابـلٌ ورذاذُ!
وطيورٌ على الغُصُون تُغَنِّي ... ومـراءٍ جَمـالُـها أخّـاذُ
غير أنّا . وأنتَ لستَ لَدَيْنا . ... ما لنا في دركِ الجَمَالِ نفاذُ

***

هرقيسة: ١٠ شوال ١٣٥١هـ
الموافق ٨ فبراير ١٩٣٢م

ادكارك يا لقمان أشجاني

وكتب من هرقيسة ضمن رسالة إلى صديقه الوفي الأستاذ المفضال محمد علي لقمان ببربرة:

إن ادكارَكَ يا (لقمانُ) أشجاني ... وهـاجَ منِّيَ أحْزانـي وأشجاني
في ذمة الله خلًّا قَدْ سَلوتُ به ... مَصَائبَ الدَّهْرِ لما أنْ تولاني(١)
لُقَيْتُه نِـضْوَ هـمٍّ فالقِ كبدي ... وحِلْفَ سُقْمٍ فَدَاوَاني وسَلاني(٢)
مازالَ باللطفِ والإشفاقِ يغمرني ... حتَّى شفاني منْ دائي وعَافاني
وكَيفَ أنسى خليلاً قد نسيتُ به ... أهْلي وصَحْبي وإخواني وأوطاني؟
لَهُ الإرادَةُ لا تلوي الخطوبُ بِهَا ... كأنّما نُحتتْ منْ صخْرِ (شمسَانَ)(٣)
حُلْوُ الحَديثِ فَصيحُ القولِ مُرتجلٌ ... يومَ الخطابة ما يُزْري (بسحبان)(٤)
يُمْـلي بَـدَائـعَـهُ عـفـواً يـؤيّـدُهُ ... فـكرٌ بعيدٌ وقـولٌ حـاضرٌ دانِ
صافي السريرةِ منْ غِشٍ ومنْ دَخَلٍ ... وعامرُ القلْبِ منْ تَقْوى وإيمانِ(٥)
مُؤسّسُ النهضةِ الشّماءِ في (عَدَنٍ) ... مقيمُها غـيرَ هـيّـابٍ ولاوانِ

---

(١) خلاً: مفعول به لفعل محذوف تقديره: استودعت.
(٢) نضو: البقية الباقية من فعل الهموم بالإنسان.
(٣) شمسان: جبل مطلّ على عدن.
(٤) سحبان: من أفصح العرب في الخطابة والحديث، ويضرب به المثل في ذلك.
(٥) دخل: فساد.

كأنّه ملكٌ مَولاه أرسَلهُ   لينفخَ الرُّوحَ في أبناءِ قحطانِ(١)

***

إنّي لأذكُرُه والكأسُ عندَ فَمِي   فأطرحُ الكأسَ مِنْ وجدٍ وتحنانِ

---

(١) رأى باكثير في محمد علي لقمان أستاذاً له وداعية من دعاة الإصلاح والنهوض الإسلامي الذين تعلق بهم مثل شكيب أرسلان ومحمد رشيد رضا. والحقيقة أن محمد علي لقمان منذ باكر شبابه رفع راية الدعوة إلى نهوض العرب والمسلمين من كبوتهم واللحاق بركب الحضارة، وكتب في سبيل هذه الفكرة كتابه الشهير «بماذا تقدم الغربيون؟» صدر سنة ١٩٣٣م. وذكر في متن هذا الكتاب بعض محاوراته مع صديقه باكثير في هذا الشأن ومنها قوله: «قلت لصديقي الأديب الشاعر النحرير والكاتب القدير الشيخ علي بن أحمد باكثير: إن الأمة العربية وكثيرا من أمم الشرق لا بد لها بعد الاستقلال من قرنين كاملين لبلوغ الشأو الذي بلغته أوروبا اليوم لأن هذه كانت في سنة ١٧٣٣م، أرقى من شرق الساعة لو استقل اليوم فقال: إن الشرق سيقتبس مدنية الغرب ... أمامه وإن اليابان ارتقت في أقل من نصف قرن فقلت إن الغرب أيضا وجد أمامه حضارة العرب العظيمة ومدنية الرومان الزاهية وعلوم اليونان العجيبة، وإن ... في مناخ أرضها وهيكل أهلها وصيانة موانيها وغزارة أمطارها وجودة أرضها وخصب مزارعها ما ليس للعرب ولا للفرس ولا للأفغان ولا لمصر ولا للهند التي تكاد تكون فقيرة من الموانئ الحصينة لإيواء أسطول يصد عنها غائلات الزمان. ولا أنكر أن الشرقي قد يبلغ الجوزاء في أيام قلائل ولكن من يضمن لي أنه يستعيد أخلاق أجداده الأمجاد؟ ولو فكر المنصف البصير لوجد أن اليابان لا تزال في أول درجات الرقي وأنها لم تبلغ إلى ما بلغ إليه الألمان والفرنسيين والإنكليز من أدب رائع وفلسفة وحكمة وطب وهندسة، ولا بد من مرور الأحقاب واقتحام عقبات قبل ذلك». (المجاهد محمد علي لقمان، الأعمال المختارة، جمعها د. أحمد علي الهمداني، ٢٠٠٥م، عدن، ص١١١).

فأسألُ اللهَ مولانَا الكريمَ بأنْ   يضم شمليَ يوماً ما بـ (لقمانِ)

لعلّنا نلتقي يوماً وقد قُضيتْ   منّا لُبانَاتُ أرواحٍ وأبدانِ(١)

***

هرقيسة: ٢٤ شوال ١٣٥١هـ

الموافق ٢ مارس ١٩٣٢م

---

(١) يذكر باكثير في مذكراته المخطوطة عن رحلة الصومال حادثة تؤكد تعلقه بشخصية الأستاذ محمد علي لقمان وعمق محبته له، وشعور الأستاذ لقمان بذلك، وهذا من خلال وصفه لمشاعره أثناء هذه الرحلة بوجود لقمان معه إذ يقول:

«إذ لم أشعر والزورق يمخر بنا ظهر البحر الهادئ بما كنت أعتاد الشعور به في أسفاري الماضية مهما كانت قصيرة من الوحشة والانقباض بعيد وداع الإخوان والخلان ففاتحت الأستاذ بهذا فتبسم كعادته في الحديث وقال لي بلهجته المرموقة: (إن هذا من قوة تعلقك بي وإخلاص حبك لي)، ولم يكن فيما قال إلا مصيبا».

من الصومال إلى عدن

وجاء ضمن كتاب له من الصومال إلى بعض أصدقائه بعدن هذه الأبيات يعاتبهم على عدم المراسلة:

ولكنَّ قلباً قد تعلّقَ وُدُّكُمْ ... يَعِزُّ عليه أن تَناسُوا وِدَادَهُ
وإن تقطعُوا عنه الكتابَ وتجمعوا ... على قلبِه إعراضَكُمْ وبِعَادَهُ
فإنْ تحسبُوا الهِجْرانَ شيئاً مقدَّراً ... قضاهُ إلهي . فليَكُنْ ما أرَادَهُ!!

***

يا رب!!

يا ربُّ أنتَ خلقتَ سلمَى ... فـتـنـةً لـلـنّـاظِـريـنَـا!
ونـهَيْتَ عَنْ نَظَرِ الجَمَالِ ... وَقَـدْ خَلَقْت لنَا العُيُونا!
رُحْـمَـاكَ! يـا رَبّـاهُ سا ... مِـحْـنَـا فـإنَّـا مُـذْنِـبُـونَـا